الشـــرح
(العلماء ورثة الأنبياء)

ننتقل إلى القصيدة بعد أن ألقينا الضوء على المنهجيتين: منهجية أهل السُّنَّة والجماعة،والمنهجية العصرانية.

وعنوان القصيدة : (العلماء ورثة الأنبياء.. منهجية ثلاثة من علماء العصر)، وقد قيلت في شهر ذي القعدة من سنة ١٤٢٠هـ، الموافق شهر فبراير (٢٠٠٠م):

بين رجال العلم وبعض الجاهلين :

إِلَهِي ما رضيتَ فقد رضينا
وإِنْ دَمْعُ العيونِ جرَى سَخِينا
وإِنْ بكَت القلوبُ على التوَالي
هُدَاةً بالكتابِ ومُهتَدِينا
رِجالَ العلْمِ أَربابَ المَعَالي
وأَعلاماً بحقٍّ عامِلينا

رِجـــالاً لِلنُّبـــوَّةِ وَارِثينا
على سنَنِ الوِراثةِ ســـائرينا
كـأنَّ نَبـيَّنا قـد عـاشَ فـينا
بِعُـــمْـــرِ الوارِثينَ لهُ قُـرونا

كأنَّ النبي ﷺ حاضرُ بيننا طوال القرون؛ بوجود العلماء؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء.

وإذْ رحلَتْ بهم رسُلُ المَنايا
فنَخشَى الإرثَ يَتْبَعُهم دَفِينا

الإرث الذي هوالعلم الشرعي،نخشى أن يُدفن معهم.

وإنّ اللهَ يـقـــــبِضُ أيَّ علْمٍ
إذا يقْضي بقَبْضِ العالمِينا

كما ورد في الحديث المتفق عليه: **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بموت العلماء)**.

✍ وليس العلمُ فلسفةً مقالاً
ولا لقَبَ العليمِ ولا الظنونا

ليس العلم فلسفة؛ لأن من تفلسف اليوم وتعالَم ظن الناس أنه عالم! ... وكذلك مَن كتَب المقالات في الصحافة ـ إذا خاض في القضايا التي حكم فيها الشرع ـ دون علْم وتخصُّص في الشرع فليس معنى ذلك أنه عالم يَصْلُح أن يتلقّى عنه الناس.

وليس العِلم لقب العليم ... مثل أنْ يقول الناس عن شخص: الدكتور فلان، والمجتهد فلان ... فليس العلم بالألقاب، ولا هوبالظنون والتوهُّمات.

✍ ولكنّ العلومَ نصوصُ وحْيٍ
وما اجتهدَ العُدولُ الوارثونا

العلوم الشرعية هي: ما جاء من الكتاب والسُّنَّة، واجتهادات العلماء المتخصصين.

وهم في الذِّكْرِ مَرْجِعُ كُلِّ فِكْرٍ

العلماء العدول هم المرجع للأمة... ليسوا كما يقول المستوردون الحاقدون ومرضى القلوب: كهنوتاً !... العلم الشرعي اجتهاد وبحث وتخصُّص وتنوير... يقول تعالى: ﴿ فاسألُوا أهل الذكر ﴾ [النحل: ٤٣] ، فأيُّ فكر لابد أن نعرضه على هؤلاء العلماء كي يفيدونا هل هومطابق لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ أوْ لا؟...وفي ذلك صيانة لدين الله من البدع والشوائب والتخليط .

وهم في الذكرِ مرْجعُ كلِّ فكْرٍ
لصَـون الدينِ دِينِ المُسلمـينا
تَصَوَّرْ في المصيرِ فتىً جهُولاً
يَقـودُ بنا القطارَ أوالسـفـينا

هل نرضى نحن شخصًا جاهلاً بقيادة القطار أو السفينة أن يتولّى القيادة؟.... لا نقبل إلا إنساناً متخصصاً بالقيادة ؛ حتى لا يقودنا إلى الهلاك ... وكذلك اتّباع رجل جاهل في الإفتاء معناه الهلاك في الدنيا والآخرة .

وهبْ في الطبِّ مَن يَسْعى فُضُولاً
بلا علْمٍ وقد ثَقبَ العيونا

رجُل يدّعي الطب زوراً ويتعاطاه فُضولاً،ويقوم بعمليات جراحية في العيون فيثقب العيون،هل سيقبل الناس منه هذا؟ . . .الناس لا يقبلون إلا التخصص بمهارة في العلوم الدنيوية. . .فلماذا في الشريعة يتكلم كل أحد؟! . . . كم ينتشر الفساد عندما لا يُحترم التخصُّص؟!.

فكم يَفْشو بذلك مِن فَسادٍ
وغَمْطٍ للتخصصِ كَي يَهُونا
وما شرْعُ الهدَى كَلأٌ مُباحٌ
فيَعبَثَ في حِمَاهُ العابثونا

ليست الشريعة كالكلأ المباح يرعى فيها من رعَى . . . الشريعة لا يتكلم فيها إلا المختصون،كالعلوم الأخرى.

مَعاذَ الله بلْ وِرْدٌ مُتاحٌ
لِمَن وَرَدَ المَوَارِدَ والفُنونا

الشريعة ورِدٌ متاح بمواردها وفنونها لكلِّ أحد... لا نقول بأن التخصُّص فيها خاصٌّ بأناس دون أناس... بل هي متاحة لكل من يريد أن يتعلم ويتخصّص ويكافح لنيل درجة العلم فيها.... وهي بذلك تختلف عن الكهنوت الذي في الأديان الأخرى المحصور في فئة معيّنة .... أما أن يأتي شخص فيفتي في الشريعة، وهولم يبذل في سبيل العلم بها والتخصُّص فيها أيَّ جهدٍ، فلا ... فالطب مثلاً لا يمكن أن يُفتي فيه إلا من تعلّم ودرس ... وهكذا سائر العلوم.

وبالتقوَى عدالتُهُ لزَاماً
وإلاّ كان كالمُسْتَشْرِقينا

لابد من عدالة :قد تجد عالماً كبيراً، ولكن ليس عنده عدالة ... فهذا لا تُقبَل منه الفتوى ... المستشرقون علماء ! ... بعضهم علماء في الحديث وبعضهم علماء في الفقه، وبعضهم علماء في علوم القرآن، فهل نقبل منهم فتاوى؟ ... لا نقبل ؛ لأنهم

ليسوا بمسلمين ولا عدول.

✍ وتضْـيـيعُ العـدالةِ نَبْـذُ هَدْيٍ
تَعَـهَّـدَهُ الرسـولُ فـصـارَ دِينا

بعضهم يتساهل في هدْي الرسول ﷺ فلا يلتزم به في سلوكٍ أوفي تعاملٍ أوفي سَمْت، فهذا تضييعٌ للعدالة.

المتعصْرنـــون:

✍ أَيعـبثُ بالهـدَى قـومٌ تَبَـارَوا
وصـاروا لِلعُـداةِ مُـقَلِّدِينا؟

يُصوِّرون أنفسهم دعاةً للإسلام، وهم يقلّدون أعداء الإسلام...يتبارَون في تقليدهم وفي استيراد أفكارهم، وفي التشبُّه بهم...فهؤلاء لا عدالة لهم ولا يؤخذ منهم.

✍ ضلالاتُ التعَصْرُنِ ضَيَّعَتْهم
فـهـم في جَـهْـلِهم مُـتَـعـالِمونا

يَتَعَألَم المتعصْرنون بضلالاتهم ... يظنون أنهم علماء وهم جهلة!.

لا علْمَ في العقل ولا نورَ في القلب ... ولا تشَبُّهَ بالعلماء والصالحين ... ولا بالرسول عليه الصلاة والسلام في العديد من الأمور ... لا جوهراً ولامظهراً.

✍ بِسَمْتٍ مُنْكَرٍ لم تَلْقَ فَرْقاً
إذا شاهدتَ سَمْتَ المُنكَرِينا

سَمْتُهم سمْتٌ منكَرٌ... على ما قال بعض الإخوة: ترى أحدهم ولا تُميِّز بينه وبين الخواجة في صورته !... لا فَرْق !

✍ أَرائِك في الأرائك جالسونا
وكالأطفالِ دَوماً هازلونا

إنهم كراسي على الكراسي!...الجدُّ عندهم قليل ... تراهم في ضحِك وهزْل كالأطفال ... والعاقل مهمومٌ قليل الضحك لاسيما في هذا الزمان .

✍ ويُولُون السفَاسِفَ كُلَّ جهْدٍ
وإنْ ذُكِرَ الجهادُ فَغافِلونا

يجتهدون في السخافات والسفاسف ولا يلتفتون إلى الجهاد (وإنْ ذكَروه كان ذكْرهم له بالغمْز واللمْز)، مع أن الجهاد فريضة في الإسلام، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم: **(من مات ولم يغْزُ ولم يحدِّثْ نفسه بغزْوٍ؛ مات على شعبة من نفاق)** ... ولا يمكن أن يُخرج الأمة الإسلامية من النفَق المظلم إلا الجهاد، يقول الله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) ﴾ [الصف: ١٠]، ولعل من العذاب المذكور في الآية ما يسومنا به الشرق والغرب!... إنّ من العذاب في الدنيا ما نحن فيه من الذل والمهانة والتشتت والتفرق... من العذاب في الدنيا أنْ تتحوّل طاقاتنا إلى تمزيق صفوفنا! بدلاً من أن تتجه طاقاتنا نحوالعدو؛ تتّجه إلى الداخل... والمخرج من هذا وغيره ما وَرَد في الآية التي بعد الآية السابقة: ﴿ تؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الصف: ١٠]، ويقول تعالى: ﴿ إِلاَّ تَنفِرُوا ﴾ أي:

إلى الجهاد ﴿ يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ﴾ [التوبة :٣٩] . وها نحن نعيش في هذا العذاب الأليم جراء تقاعسنا عما وجب علينا ... وعذاب الآخرة أشدّ إذا لم يتغمدنا الله برحمته .

✍ ومَن هُم في الوَرَى أَشْبَاهُ قَومٍ
فـهُم منهم وإنْ حلَفوا يَمينا

الذين يتشبهون بأناس هم منهم، وإن حلفوا الأيمان أنهم ليسوا منهم.

✍ وقد نطَقَ النبيُّ به صَريحاً
وأفْلَحَ مَن به يَتَشَبَّهُونا

جاء في الحديث الذي رواه أحمد وأبوداود ـ وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ أن الرسول ﷺ قال: **(من تشبَّه بقومٍ فهو منهم)** .والمفْلح حقًّا هو من تشبّه به ﷺ .

✍ أَيَزْعُمُ مُنْخُلٌ ما اعْتَادَ صَوناً
بِكَوْنِ الماءِ دَاخِلَهُ مَصُونا؟!

شخصٌ مثل المنخُل في تفريطه ، لا يلتزم بآداب ولا بضوابط شرعية في العديد من الأمور، يزعم أنه داعية ...يقول :الشريعة أنا متمسِّك بها... فهوكمن يقول: الماء مصونٌ داخل المنخل! ...كلام مجرد عن الواقعية .

✍ ويَفْخَرُ حَنظَلٌ شَكْلاً ولَوْنًا
بِكَوْنِ الشَّهْدِ يَسْكُنُهُ مَكينا؟!

سلوكٌ كالحنظل ... يزعم صاحبه متفاخراً بأنه مَوْطِنُ الشَّهد (أي العسل).

✍ وكم مِن مَظْهَرٍ ظَرْفٌ لِفكْرٍ
ولَو مارَى بِذاكَ المُمْتَرَونا

الظاهر عنوانٌ وظرفٌ للباطن ولوجادل المجادلون.

✍ وأقْلامُ التَّعَصْرُنِ مَحْضُ بُوقٍ
لِتَشْوِيهِ الُهدَاةِ الوارِثِينا
ولَيسُوا عارِفينَ لهم بِحَقٍّ
إذا مَرُّوا بهم يَتَغامَزونا

يقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ:(**ليس منا من لم يُجلَّ كبيرنا و يرحمْ صغيرنا، ويعرفْ لعالمنا حقه**) رواه أحمد والحاكم و ذكر الألباني أنه حسن. وهؤلاء المتعصْرِنون لا يعرفون حقاً لعالم، بل هم أبواقٌ للغمز والتشويه للهُدى وحَمَلَته.

العلماء الثلاثة:

وأَقْمارُ الهِدايةِ في وَقَارٍ
ولَو دَوَّى صَرِيرُ المُعْصِرينا
وفي عامٍ كَعامِ الحُزْنِ وَلَّى
رِجالاتٌ ثِقاتٌ شامِخونا

والعلماء أقمارٌ في قمة الوقار، ولو ارتفعت أصوات أبواق المعْصرين وصريرهم...وقد كان العام الذي توفي فيه العلماء الثلاثة أشبه بعام الحزن،الذي فقد فيه رسولنا الكريم ﷺ ناصره من ذويه عمه أبا طالب،وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها،وكان ذلك قبل الهجرة فاشتد كفار قريش على رسول الله ﷺ ، وعظم

حزنه حتى سمي ذلك العام عام الحزن،ولكن الله أكرمه وأعلى شأنه وجبر خاطره،وأراه آياته في الإسراء والمعراج.

ابن باز- رحمه الله- :

سلامُ اللهِ يا ابْنَ البازِ حيّاً
وفي المَثْوَى ويومَ المُنْشَرِينا
تُذَكِّرُنا دُموعُكَ حينَ تَهْمِي
وقَلْبٌ حَاطَ كُلَّ المؤمنينا

عليك السلام يا ابن باز في حياتك،وفي مثواك في قبرك، ويوم تُنشَر وتُبعث.

كانت دموعه سيّالة، إذا قيل له: اتق الله. بكى ! وهؤلاء العصرانيون ... هل يوجد فيهم مَن يبكي من خشية الله؟!.

رجل يحب كل المسلمين، ويبذل كل غالٍ ونفيس لأجل المسلمين، ويقدم الخدمات لكل المسلمين... المسلمون في قلبه ، يحرص أنْ يحوطهم بعنايته ورعايته ... فرحِمَهُ الله رحمة واسعة ... كان ينفق من

مرتّبه، وينفق ما يصل إليه من المحسنين لمواساة المحتاجين، و كان لا يكفيه ذلك فيقترض ولا يتوانى عن سدّ حاجة محتاج . وكل المسلمين يحبونه إلا أولئك الذين في قلوبهم مرض.

✍ ومليونٌ بيومك يومَ صلّوا
وعلْمٌ ضاءَ دربَ السالكينا

صلى عليه مليون ـ أو مليونان؛ كما تقول بعض التقديرات ـ في الحرَم، وقد قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز. يعني: قارنوا بين عدد من سوف يشيّعون جنائزنا وبين عدد من سوف يشيّعون جنائزكم ... لأنّ الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً وضع له القبول في الأرض عند الصالحين، وقد كان لابن باز ـ رحمه الله ـ قبول فيما نظن ، و من الدلائل على ذلك عدد من شيّعوه ، وكذلك قبوله كمرجع للفتوى في ديار المسلمين، والانتشار الواسع لعلمه ومؤلّفاته فيهم .

بِقـامـاتٍ مِن السـادات ولَّوا
ونرْجو سَبْقَكم فِيهم وفِينا

تذكِّرنا دموع ابن باز ـ رحمه الله ـ وحياطته للمؤمنين، والأعداد الكبيرة التي صلّت عليه وعلمه الواسع .. تُذَكّرنا بسادات الأئمة الذين سلفوا، ونرجو لشيخنا ابن باز ـ رحمه الله ـ أن يكون عند الله من السابقين سواء في جملة الأئمة الذين سلَفوا أو المعاصرين.

الألباني ـ رحمه الله ـ :

وعـرِّجْ في الحـديثِ على إمـامٍ
فـتَى الألَبـانِ مـا شَـهِـدَ القَـرِينا

لا نعلم شخصا يُقَارِن الألباني ـ رحمه الله ـ في علم الحديث، علماً وشهرة ونفعاً للأمة في هذا العصر.

وكم سُنَنٍ به الرحـمنُ أَحْـيـا
ولَو لـم يُبْـتَـدَرْنَ لَمَا حَـيِـيْنا

و كم أحْيا الله به من السُنن ... لو لم يبادر الألباني لإحياء هذه السُنن لَمَا حَيِيْنَ ... لكن الله وفّقَهُ لأن

يحيي هذه السنن ويَلفت أنظار الناس إليها.

✍ وصارَ الناسُ حقّاً مُمْسِكينا
بِقائمةِ الصحيحِ ومُكْتَفِينا

تسمع كل مهتم يقول: قال الألباني... صحّح الألباني ... حسّن الألباني، وهكذا... انتشرتْ كتبه في كل مكان، وأصبح الناس متمسكين بالأحاديث الصحيحة بفضل الله ثم بتأثير جهود الألباني ـ رحمه الله ـ.

✍ وَمنّ للناسِ خَلَّفَ نَفْعَ عِلْمٍ
فقد أَبْقَى لهم عَيناً مَعِينا
فَحَيَّا اللهُ رُوحَكَ من فقيدٍ
وأَعْلَى ذِكْرَكم في الغابِرينا

ومن خلّف علماً نافعاً للناس فقد ترك لهم بعد موته مَصْدَراً مستمراً للخير، وترك لنفسه مصدراً للثواب لا ينضب، فحيّا الله روح الألباني الذي فقدناه، وأعلى ذكره في الأجيال القادمة.

النـدوي ـ رحمه الله ـ :

وأبْكَى الهِندَ أبْكاها إمـامٌ
وقـد صلَّتْ وصلَّى المُسلمـونا

الندوي الذي بكتْه الهند ـ رحمه الله ـ صلى عليه المسلمون في الحرمين صلاة الغائب في ليلة سبع وعشرين (١٤٢٠هـ) إلى المسلمين الذين صلوا عليه في الهند.

مضَى عنَّا أبو حَسنٍ فأفْضَى
وكانَ الفضْلَ والخُلُقَ المَتينا
وكانَ الجُهدَ في الذِّكْرَى وذِكْرٍ
ونِعْمَ السَّبْقُ سَبْقُ الذاكِرينا

مضى أبو الحسن الندوي إلى ربه، وكان قمة في الفضل والخلق، وكان صاحب جهْد في تذكير الناس وفي ذكره لله وعبادته، ونِعْمَ سبق الذاكرين ... يقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (**سبَق المُفَرِّدُون**، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟!، **قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**) رواه مسلم.

✍ وكـان الزُّهْدَ ذلك مـا عَلِمْنا
وكـان الفكْرَ والقَلَمَ الرَّصِـينا

كان الندوي كما علمنا رجلاً زاهداً في بيته وفي رحلاته وفي أسفاره، و كان لايرضى أن ينزل في فندق، وإنما ينزل عند إخوانه في بيوت متواضعة، وكان صاحب فكْرٍ سليم وقلَمٍ رصين.

✍ له السِّـحْـرُ الحَـلاَلُ ولا يُبَـارَى
بأَقْطابِ الُّلغـــات الأَلْسَنِينا

يقـول الرسـول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (**إن من البيان لَسحْراً**) ... وكلام الندوي البليغ عندما تقرؤه كأنه السحْر في تأثيره على النفوس، ولكنه سحْر حلال، ولا يستطيع أقطاب اللغات المتخصصين ذوو الألسنة البليغة مُباراةَ الندوي في بلاغته.

ألَّف الندوي بأربع لغـات،فقـد ألَّف باللغـة العربيـة وأبدع فيها،وألّف باللغة الأُردية وأبدع فيها،وألَّف باللغة الفارسية وأبدع فيها، وألَّف باللغة الإنجليزية وأبدع فيها.

بِأَرْبَعِـهـا أَفـاضَ ورُبَّ فَـذٍّ
مِن الأَعـلامِ فـاقَ الأَعْلَمـينا

أفـاض الندوي في التـأليف باللغـات الأربع، ورُبَّ شخص فذٌّ كالندوي العَلَـم فاق الأَعْلَمين من الأعلام.

ورغْمَ الغَوصِ في الغَرْبِيِّ مِنهـا
فلم يَغْـرَقْ كَـشَـأْنِ الأَكْـثَـرِينا

وغاص في اللغة الغربية (الإنجليزية) وتبحّر فيها، ولكنه لم يغرق كالكثيرين الذين غاصوا في اللغة الإنجليزية، ثم غرقوا في ثقافتها.

ولم تَمْسَخْ لدَى الندْوِيِّ أصْـلاً
ولا شكْلا ولا فَـقَـدَ الحَنينا

بقي على أصالته، وجوهره ومظهره وطبيعته وحنينه، بقي هو ذلك الرجل بلحيته الكثة وبشكله الشرقي الإسلامي، وبثيابه المحلية التي لم يغيِّر منها شيئاً، ولم تمسخه ثقافة الغرب رغم غَوْصه فيها كما مسخت أولئك الآخرين السطحيين.

✍ يُذَكِّرُ بالصحابةِ كيف خاضُوا

بِلا بللٍ بِدُنيـــا الغـــارقـــينا

خاض الصحابة في الدنيا، ولكنهم لم يبتلُوا بماء فتنتها ، ونظن أنه كان كذلك ـ رحمه الله ـ ، ولا نزكيه على الله .

وهذا البيت مأخوذ من كلام الندوي في كتبه ـ رحمه الله ـ ، فإنه قال : إن الصحابة لم يبتلّوا بدنيا الغارقين، رغم خوضهم في الدنيا لتحويلها إلى وسيلة لبلوغ سعادة الآخرة .

obeikandl.com